



أكاديمية الفرقان
للتقافة الإسلامية

مادة السيرة

المحاضرة (1)

د / زين العابدين كامل

أكاديمية الفرقان للتقافة الإسلامية
ميراث النبوة معك حيثما كنت



forqanacademy

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه،
وبعد.

مرحباً بحضراتكم طلاب وطالبات أكاديمية الفرقان للثقافة الإسلامية.

اهتمام المسلمين بالسيرة

نبدأ باذن الله تبارك وتعالى الحديث في مادة السيرة النبوية، وقبل أن نتكلم عن سيرة النبي عليه
الصلاة والسلام، نقول لم يهتم المسلمون بشيء بعد القرآن كما اهتموا بسيرة نبيهم عليه
الصلاة والسلام.

السيرة كانت في البداية تمثل جزءاً أساسياً من علوم حديث النبي عليه الصلاة والسلام،
وسنجد أن البخاري - في صحيح البخاري - له فصول أو له أبواب يتحدث فيها عن سيرة
النبي عليه الصلاة والسلام، وسنجد الإمام مسلم كذلك، سنجد أصحاب السنن كذلك،
لا سيما الغزوات التي غزاها النبي عليه الصلاة والسلام.

ففي البداية نقول أن السيرة كانت جزءاً من حديث النبي عليه الصلاة والسلام، وكان الصحابة
رضي الله عنهم يروون السيرة كما يروون حديث النبي عليه الصلاة والسلام، لكن أصبحت
السيرة بعد ذلك علماً مستقلاً عن الحديث النبوي، وأصبح لها علماء ولها مؤلفون يتحدثون
فيها ويؤلفون فيها، لها ضوابط ولها معايير تختلف أحياناً عن حديث النبي عليه الصلاة
والسلام، لكن هناك قدر مشترك بين سيرة النبي عليه الصلاة والسلام - لا سيما المغازي -

وحديث النبي عليه الصلاة والسلام، هذا القدر لا ينفك بين السيرة وبين الحديث، لذلك سنجد كما ذكرت أن بعض المحدثين يذكرون في أحاديثهم سيرة النبي عليه الصلاة والسلام ولا سيما الغزوات التي غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لكن نقول دونت السيرة في العصر الأول، في القرن الأول، أول من دون سيرة النبي عليه الصلاة والسلام عروة بن الزبير بن العوام، وأبان بن عثمان، وغيرهما من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين.

أهمية دراسة السيرة النبوية

عندما نقول لم يهتم المسلمون بشيء بعد القرآن كما إهتموا بسيرة النبي عليه الصلاة والسلام لابد أن نقول لماذا؟ أي لماذا اهتم المسلمون بسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ سؤال يطرح نفسه، لماذا نقوم بدراسة السيرة النبوية؟ أي لماذا هناك اهتمام بالغ من العلماء ومن المسلمين عموماً بسيرة النبي عليه الصلاة والسلام؟ عندنا علوم كثيرة جداً، عندنا علوم القرآن، عندنا علوم الحديث، عندنا العقيدة والتوحيد، عندنا علوم كثيرة جداً، لكن هناك اهتمام بالغ من العلماء بسيرة النبي عليه الصلاة والسلام. فسنذكر بعض الفوائد والدروس المستفادة من دراسة سيرة النبي عليه الصلاة والسلام.

أولاً: حتى نتأسى به ونقتدي به صلى الله عليه وآله وسلم

كما قال الله تبارك وتعالى: **"لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ**

الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا الأحزاب: 21 . إذا فالنبي عليه الصلاة والسلام هو الأسوة، هو القدوة التي

لابد أن يتأسى به كل مسلم.

ولكي تتأسى بالنبي عليه الصلاة والسلام لابد أن تتعرف على حياته عليه الصلاة والسلام، على أقواله، على أفعاله، على أحواله، كيف كان يعيش، كيف كان يتعامل مع الناس، كيف كان يفرح، كيف كان يغضب، كيف كان يعيش مع أمهات المؤمنين، كل ذلك لن يتم إلا بدراسة سيرة النبي عليه الصلاة والسلام.

إذا فالشمائل النبوية - الشمائل المحمدية - هي التي تجعلنا نتأسى برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

علي بن الحسين رضي الله عنه وأرضاه يقول: "كنا نعلم مغازي النبي عليه الصلاة والسلام وسراياه كما كنا نعلم السورة من القرآن"، كلام علي بن الحسين هذا معناه أن السيرة كانت مع القرآن يشكّلان الحياة العلمية الأصيلة عند الصحابة والتابعين، هو يقول رضي الله عنه وأرضاه: "كنا نعلم مغازي النبي عليه الصلاة والسلام وسراياه كما نعلم السورة من القرآن"، حضرتك متخيل؟ إن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين كانوا يتعاملون مع السيرة كما يتعاملون مع القرآن الكريم، يعني كان العلم في السيرة، رواية السيرة، تعلم السيرة، كان موازيا للقرآن الكريم.

طبعاً هناك فرق شاسع جداً بين روايات القرآن وأحكام القرآن والسيرة، لكن السيرة كانت تمثل للسلف، للصحابة، للتابعين رضي الله عنهم وأرضاهم أهمية بالغة لذلك علي يقول أنهم كانوا يتعلمون السيرة كما كانوا يتعلمون القرآن الكريم.

ثانياً: السيرة تربط بين القرآن الكريم وبين كثيرٍ من أحداث وقعت في عصر النبي عليه الصلاة

والسلام

فسنجد أن القرآن الكريم نزل معقّباً على بعض الأحداث، مثل ما ترى مثلاً في سورة الأحزاب ومثل ما ترى في سورة الحشر، سورة آل عمران، في سورة التوبة، هناك سور معينة فيها آيات كثيرة تحدثت عن غزوات النبي عليه والسلام.

فالقرآن ينزل أحياناً معقّباً على موقف معين، على حدث معين، لاسيما في المعارك والغزوات التي شارك فيها النبي عليه الصلاة والسلام، وسنجد أن أحياناً السيرة تفسر بعض آيات القرآن الكريم؛ يعني سنجد أن القرآن يأتي أحياناً معقّباً على مواقف من سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، وسنجد أحياناً أن هناك آيات من القرآن لم تفهم الفهم الحسن إلا بالرجوع إلى سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

إذا نحن نقول: أولاً: ندرس السيرة، نتعلم السيرة، لتأسى به عليه الصلاة والسلام، ثانياً: السيرة تربط بين كثيرٍ من آيات القرآن الكريم وبين أحداث وقعت في عصر النبي عليه الصلاة والسلام.

ثالثاً: السيرة تزيل التعارض الذي ربما يفهم بين النصوص

في البداية لابد أن نتفق أنه لا يوجد شيء اسمه تعارض بين النصوص في الإسلام، أي لا يوجد تعارض بين آيتين أو بين حديثين أو بين آية وحديث، هذا الكلام غير موجود، حقيقةً غير موجود، لكن في الظاهر يمكن أن نجد أن هناك تعارض، نظن أن هناك تعارض، يفهم أن هناك تعارض.

السيرة تأتي أحياناً لتزيل التعارض بين بعض أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام، بأفعاله عليه الصلاة والسلام. فنحن نتعلم من السيرة ونستفيد من السيرة أننا أحياناً نحتاج السيرة في إزالة التعارض المتوهم بين القرآن وبين سنة النبي عليه الصلاة والسلام، أو بين بعض أحاديث النبي صلى الله عليه واله وسلم.

إذاً عندما نجمع ما بين القرآن وبين سيرة النبي عليه الصلاة والسلام هكذا ستتضح الصورة البنائية المتكاملة للحدث الذي نريد أن نضبطه بالضوابط الشرعية.

رابعاً: السيرة دراستها تجعلنا نحب النبي أكثر

إيماننا بالنبي يزيد أكثر، تعلقنا بالنبي عليه الصلاة والسلام يزيد أكثر، كيف سيحدث ذلك؟ سيحدث عندما نقرأ في السيرة نتعلق بالنبي عليه الصلاة والسلام، نحب النبي أكثر عليه الصلاة والسلام، لأن السيرة هي التي ستصف أحوال النبي عليه الصلاة والسلام ومنها المعجزات - معالم النبوة - معجزات النبي عليه الصلاة والسلام، فلن تقف على معجزات النبي عليه الصلاة إلا بدراسة سيرته صلى الله عليه وسلم.

كم معجزة للنبي عليه الصلاة والسلام؟ معجزات كثيرة جداً، هذه المعجزات لن تجدها إلا في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام. عندما تدرس السيرة النبوية ستقف على كثير من المعجزات، بعض العلماء يقول عندنا ألف معجزة للنبي عليه الصلاة والسلام، وابن حجر يقول عندنا ثلاثة آلاف معجزة للنبي عليه الصلاة والسلام.

على أي الأحوال سواء أكانت ألفاً أو ثلاث آلاف.. المهم أن عندنا عدة آلاف من معجزات النبي عليه الصلاة والسلام، معجزات كثيرة جداً، عندما تقرأ هذه المعجزات بدراستك لسيرة النبي عليه الصلاة تزداد إيماناً بالنبي صلى الله عليه وسلم، وتعلم أنه أرسله الله تبارك وتعالى، وتزداد حباً وتزداد تعلقاً وتزداد شوقاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

السيرة

هي التبيان العملي الحقيقي لأخلاق النبي عليه الصلاة والسلام. النبي عليه الصلاة والسلام تعامل مع الصحابة رضي الله عنهم منهم العبيد ومنهم الأشراف، النبي عليه الصلاة والسلام تعامل مع المشركين، النبي عليه الصلاة والسلام تعامل مع اليهود، تعامل مع النصارى، تعامل مع المنافقين، تعامل مع الأنصار، وتعامل مع المهاجرين، تعامل مع العرب بأسرهم.

كيف استطاع النبي أن يتعامل مع كل هذه الفئات وكل هذه الطبقات وكل هذه الأفكار المتركة التي لا تشبه بعضها، ففئة تعتقد أن عيسى هو الله وفئة تقول لا عزيز، وفئة تسجد للأصنام، النبي كيف تعامل مع كل تلك الفئات؟ هذا ما سنعرفه ونتعلم أن النبي كيف تعامل مع هؤلاء الأصناف وهذه الأصناف المختلفة بالوقوف على سيرة النبي صلى الله عليه وآله

وسلم.

لذلك نقول أنك لكي تستطيع أن تتعامل مع الناس وتأسر قلوب الناس، هذا ستتعلمه من سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، كيف تفرح، تعرف كيف كان يفرح النبي، كيف تغضب، تعرف إلى أين كان يصل حد غضبه عليه الصلاة والسلام.

خامساً: السيرة نتعلم منها كيفية التعامل مع الأحداث

هناك أحداث كثيرة جداً واجهت النبي عليه الصلاة والسلام، هناك مصاعب كثيرة جداً واجهت النبي عليه الصلاة والسلام، سواء في المرحلة المكية أو في المرحلة المدنية كما سنرى بإذن الله تبارك وتعالى تباعا في المحاضرات.

يا ترى كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعامل مع الحدث، كيف تعامل مع الذين جاءوا ليصدوا عن سبيل الله، كيف تعامل مع جماعة أرادوا أن يؤمنوا به عليه الصلاة والسلام لكن بضوابط وشروط معينة أرادوها.. كل ذلك لن نتعلموه إلا بدراسة سيرة النبي عليه الصلاة والسلام.

سادساً: نتعلم كيف تبنى الأمم وكيف تقام الدول

النبي عليه الصلاة والسلام أقام دولة في المدينة المنورة دولة الإسلام الأولى من فتات متناثر، هذا الفتات المتناثر كان عشرات الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم؛ أقام بهم دولة كما سنرى في المرحلة المكية. هؤلاء الصحابة كيف حولهم النبي عليه الصلاة والسلام من رعاة للإبل والبقر والغنم إلى قادة وسادة للدول والأمم.

هؤلاء الصحابة كانوا مجموعة، منهم من كان يسجد للأصنام، يعني أصلهم كان أناس يكفرون بالله تبارك وتعالى، لكن لما آمنوا بالنبي عليه الصلاة والسلام واستمروا في فترة إعداد ثلاث عشرة سنة في مكة المكرمة، استطاع النبي عليه الصلاة والسلام أن يقيم هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم دولة، هذه الدولة هي التي نشرت بعد ذلك الإسلام في الدنيا بأسرها. وكان فترة زمنية يسيرة جداً، فترة زمنية بسيطة جداً، لكن مرحلة الإعداد والتأهيل والتربية التي كانت في مكة المكرمة هي ما ساعدت الصحابة أن يقودوا الدول ويقودوا الأمم، واستطاع الصحابة رضي الله عنهم أن يخرجوا العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد تبارك وتعالى. لذلك نقول أن السيرة النبوية كنز، لكن كيف يستثمر هذا الكنز؟ السيرة النبوية من الكنوز التي لا بد للمسلمين أن يعكفوا عليها وأن يتعلموا منها ما كان في حياة النبي عليه الصلاة والسلام. السيرة عطاء متجدد وتضحية من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام. هذه كانت مقدمة أو كان تمهيد بين يدي الدخول في مادة السيرة، ونبدأ السيرة بطبيعة الحال بالمرحلة المكية.

مراحل الدعوة

كانت ثلاث عشرة سنة. نريد أن نؤصل بعض الأشياء لكي نتبّه ونحن نتحدث. مرحلة الدعوة كلها ثلاث وعشرون سنة، أي أن مدة الرسالة ثلاث وعشرون سنة، ثلاث عشرة سنة في مكة، وعشر سنوات في المدينة المنورة.

ثلاث عشرة سنة في مكة سنقسمهم قسمين؛ ثلاث سنوات دعوة سرية، وعشر سنوات دعوة جهرية، وبعد ذلك إقامة الدولة كانت في المدينة المنورة، وكانت فترة الرسالة في المدينة عشر سنوات.

إذا نحن عندنا ثلاث وعشرون سنة بهذا التقسيم.

أحوال العرب الدينية قبل البعثة

لكن دعونا قبل أن نتحدث عن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وما حدث بعد بعثته عليه الصلاة والسلام؛ نتحدث عن أحوال العرب الدينية قبل بعثة النبي عليه الصلاة والسلام. في البداية نقول أن أغلب العرب كانوا بداية قد اتبعوا دعوة إسماعيل عليه السلام، الذي هو ابن إبراهيم عليه السلام. نحن نعلم أن سيدنا إسماعيل عليه السلام نشأ في مكة المكرمة وتربى في مكة وترعرع في مكة المكرمة، ودعا إسماعيل إلى توحيد الله تبارك وتعالى، وآمن العرب بدين إبراهيم عليه السلام بعد أن دعاهم إليه إسماعيل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، ثم طال عليهم الأمد وقست قلوبهم واستحوذ عليهم الشيطان، بعد فترة كانوا فيها على الفطرة على الدين الحنيف الأمور تغيرت في أرض الجزيرة العربية. هناك شخص اسمه عمرو بن لحي - هذا الاسم نريد أن نذكره - عمرو بن لحي هذا كان رجلاً محبوباً بين الناس، وكان له رحلات تجارية ما بين الشام وما بين أرض الحجاز، ثم ذهب في مرة إلى بلاد الشام فوجدهم يعبدون الأصنام من دون الله، أعجبه الأمر وظن أنه حقاً؛ هو تخيل أن هذا هو الحق، فجاء بصنم من بلاد الشام إلى مكة المكرمة وهذا الصنم الذي

هو صنم هبل الذي كانت تعبدته قريش، وجعل هذا الصنم في جوف الكعبة. هل تتخيل أن هذا الصنم كان داخل بيت الله الحرام، جعل الصنم في جوف الكعبة، ودعا العرب في مكة لعبادة الأصنام، اعتقد العرب أن هذا هو الحق.

ونحن نستفيد من هذا الأمر.. مالذي جعلهم يتبعون عمرو بن لحي؟ لأنه كان محبوب، كانوا يحبونه، كان له معروف على الناس، كان محسن إلى الناس، كانت علاقته جيدة بالناس، فلذلك لما جاء بالصنم، جاء بهبل اتبعته العرب وبعد ذلك أصبح لكل قبيلة صنم وكل بيت أصبح فيه صنم، كما قال الله تبارك وتعالى:

"أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ" النجم: 19-20 ، هذه أسماء أصنام كانت

موجودة عند العرب، هناك هبل، وهناك اللات وهناك مناة، وهناك العزى.

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: **"رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرٍ بْنِ لُحْيٍ الْخَزَاعِيَّ يَجْرُ قُضْبَهُ فِي النَّارِ"** متفق عليه.

"يَجْرُ قُضْبَهُ" يجر أمعاءه في نار جهنم والعياذ بالله، لماذا؟ لأنه أول من أدخل الأصنام إلى جزيرة العرب، وبهذا بدأ العرب يعبدون الأصنام من دون الله تبارك وتعالى، وبذلك أصبح الشرك هو المظهر الرئيسي في مكة المكرمة وفي أرض الجزيرة العربية، أصبح الشرك هو مظهر التدين الذي يوجد عند الناس في مكة المكرمة وفي أرض الحجاز بعد ذلك.

يا ترى كيف عبد العرب الأصنام؟ ماذا فعلوا ليعبدوا الأصنام؟ كانوا يعكفون عندها، يذبحون لها، يعتقدون أنها تنفع وتضر، يستغيثون بها، يلجأون إليها في الشدائد.. هذه كانت العبادات

والخرافات والاعتقادات الباطلة من العرب تجاه الأصنام التي كانت تعبد من دون الله تبارك وتعالى.

لكن في ظل هذا الشرك وفي ظل تلك الخرافات والاعتقادات الباطلة التي انتشرت في أرض الجزيرة أو في أرض الحجاز، كان هناك من على دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، يعني كان هناك بقايا على دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، يعني سنجد مثلاً زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه، زيد لم يدرك بعثة النبي عليه الصلاة والسلام، زيد حضر النبي عليه الصلاة والسلام لكن مات قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لم يدرك البعثة، زيد هذا لم يكن يسجد للأصنام، ولم يقتنع أن أحد يعتقد أن حجر ينفع ويضر ويسجدوا له ويذهبوا له ويتقربوا له ويذبحوا عنده، لم يكن يعتقد في هذا الكلام، لكن لم يكن عنده شريعة، لم يكن عنده نبي، هو لا يعلم شيء، لكن هو على الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها.

فكان زيد بن عمرو بن نفيل يقول: "يَا مَعَاشَرَ قُرَيْشٍ، وَاللَّهِ مَا مِنْكُمْ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ غَيْرِي" رواه البخاري.

هو كان يقول لهم هذا، كان يعلم أن هذا الكلام كله باطل، أباطيل، وما يحدث هذا جهل وبدع وخرافات وشرك بالله تبارك وتعالى. فكان يقول: "يَا مَعَاشَرَ قُرَيْشٍ، وَاللَّهِ مَا مِنْكُمْ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ غَيْرِي".

ثم إذا أراد الرجل أن يقتل ابنته، نحن نعلم "وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ" التكوير: 8-

كان العرب يقتلون البنات، فكان زيد إذا رأى رجلاً في الجاهلية يريد أن يقتل ابنته كان يقول: **"لا تَقْتُلْهَا، أَنَا أَكْفِيكَهَا مَثْوًى"** رواه البخاري. لا تقتلها، اتركها وأنا أربيها لك، أنا سأنفق عليها،

لكن لا تقتلها.

فكان رجلاً فاضلاً رضي الله عنه وأرضاه، وكان يسجد على الأرض ويقول أنا على دين إبراهيم، يسجد على الأرض، هو لا يعرف ركوع ولا سجود، هو كان على الفطرة، لذلك نقول لو أي إنسان ولد بدون أي مؤثرات سيكون مسلم بمفرده، بدون أن نقول له نحن عندنا دين اسمه الإسلام أو عندنا شيء اسمه التوحيد، بدون مؤثرات خارجية بمفرده سيكون على الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

فزيد كان من هؤلاء الناس كان يسجد على الأرض ويقول أنا على ملة إبراهيم. ثم ابنه سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة. تخيل أن هناك من دخل الجنة قبل البعثة وكان المجتمع كله تقريباً يشرك بالله تبارك وتعالى ويعبد الأصنام من دون الله عز وجل، فزيد هذا من أهل الجنة قبل بعثة النبي عليه الصلاة والسلام، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: **"فإنه يبعث يوم القيامة أمة واحدة"** أحمد شاكر: إسناده صحيح، شعيب الأرنؤوط: ضعيف. زيد سيأتي أمة بمفرده.

كذلك كان عندنا ورقة بن نوفل كان على النصرانية الحق، نحن نعرف قصة ورقة بن نوفل هو شخصية مشهورة كان على النصرانية الحق بلا تحريف ولا تزيف. فهذه الأحوال الدينية التي كانت موجودة في أرض الحجاز للعرب قبل بعثة النبي عليه الصلاة والسلام.

مولد النبي صلى الله عليه وسلم

في هذا الجو القاتم، وفي هذه البيئة الشركية القذرة التي كانت تعبد الحجارة من دون الخالق تبارك وتعالى، في هذه البيئة ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولد النبي عليه الصلاة والسلام في بيئة شركية، في بيئة منحرفة، انحراف عقدي، انحراف فكري، انحراف مجتمعي، كما سنفصل بعد قليل.

ولد النبي صلى الله عليه وسلم يتيماً على الراجح من أقوال المؤرخين، مات أبوه قبل ولادته عليه الصلاة والسلام، نحن عندنا أهل الحضر وعندنا أهل البادية، أناس يعيشون في الحضر، يعني يعيشون في مكة، يعيشون في يثرب مثلاً، يعيشون في الطائف، هؤلاء هم أهل الحضر. وعندنا أناس يعيشون في البادية، فأهل الحضر من عاداتهم لاسيما أهل مكة، عندما يولد مولود يرسلونه لأهل البادية، لماذا؟ يخافون على المولود من الأوبئة ومن الأمراض التي ممكن تنتشر لاسيما في مكة بسبب تجمع الجنسيات المختلفة لموسم الحج؛ هل كان هناك حج؟ نعم كان هناك حج قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، كان هناك بقايا من الدين موجودة كالحج والعمرة والطواف حول البيت هذا كان موجود، فكان هناك تجمعات تحدث في مكة لذلك أهل الحضر لاسيما أهل مكة أول ما المولود يولد مباشرة يرسلوه إلى البادية؛ يظل هناك سنة، اثنين، ثلاثة، إلى أن يشتد ويستقيم ويكون بعيد عن الأوبئة، وأيضاً حتى يبدأ يتعلم ويتقن اللغة العربية، لأن كان أهل البادية أتقن من أهل الحضر في اللغة العربية.

وهذا ما فعلوه مع محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، لما ولد مباشرة أرسلوه إلى بني سعد، القصة المشهورة المعروفة وقصة المرضعة حليلة السعدية، واستمر النبي عليه الصلاة

والسلام في بني سعد إلى أن أكمل أربع سنوات عليه الصلاة والسلام، ثم عاد إلى أمه وعاش مع أمه ماتت أمه والنبي عليه الصلاة والسلام في السادسة من عمره.

إذاً النبي ولد في مكة، ذهب لبني سعد ظل أربع سنوات، رجع وأقام مع أمهستين، أمه ماتت وكان عنده ست سنوات، فتكفل به جده عبد المطلب، لما النبي عليه الصلاة والسلام وصل لثمان سنوات مات جده عبد المطلب، وهنا تكفل به عمه أبو طالب، وهكذا ولد النبي عليه الصلاة والسلام وهكذا شب وترعرع النبي عليه الصلاة والسلام في مكة المكرمة.

بعثة النبي صلى الله عليه وسلم

في هذا الوقت نظر الله تبارك وتعالى إلى أهل الأرض - كما يقول عليه الصلاة والسلام - فمقتهم أي غضب عليهم، المقت هو الغضب الشديد، "وإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَّتَهُمْ عَرَبُهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ" رواه مسلم، يعني أعداد بسيطة جداً، لم تدخل بعد في الكفر والشرك.

لكن المجتمعات في العالم كانت مشركة بالله تبارك وتعالى، كانت مجتمعات كافرة، بتنوع الكفر؛ أحد يسجد لصنم، أحد يسجد لحجر، أحد لا يعبد شيء، أحد يعبد شيء اخترعه، المهم أن الكفر هو المنتشر في المجتمعات؛ ولكن في ظل هذا الواقع المرير عندما ولد النبي عليه الصلاة والسلام أراد الله تعالى الهداية للبشرية، فلما أراد الله تعالى الهداية للبشرية بعث النبي محمد صلى الله عليه وآله.

لذلك بعثه النبي عليه الصلاة والسلام لم تكن رحمة لجزء من الناس.. لا، **"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ"** الأنبياء: 107 ، فلما أراد الله تعالى الهداية للبشرية جمعاء بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

دعوة النبي صلى الله عليه وسلم

ولما بلغ النبي عليه الصلاة الأربعين من عمره كما نعلم جميعاً، نزل عليه جبريل عليه السلام في غار حراء وأول ما نزل على النبي عليه الصلاة والسلام: **"اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ"** العلق: 1 ، ثم نزل قول الله تبارك وتعالى: **"يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ"** المدثر 2:1 ، **"قُمْ فَأَنْذِرْ"** تعني أنك أصبحت رسول، وتأكدت أنك رسول وأنت نبي، وذهبت إلى ورقة بن نوفل، وقال لك أنت نبي ، فلا بد أن تبدأ العمل، تبدأ العمل في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

"قُمْ" فقام النبي عليه الصلاة والسلام داعياً إلى الله تبارك وتعالى منذ أن نزل عليه قول الله: **"قُمْ فَأَنْذِرْ"** قام حتى توفاه الله عز وجل، ولم يتوقف عليه الصلاة والسلام ولا للحظة واحدة عن أمر الدعوة إلى الله عز وجل، **"يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ"** فقام النبي عليه الصلاة والسلام، لكن الآتي مهم: من سيدعو وكيف؟ هو وحده فقط مسلم على وجه الأرض.

مرحلة الدعوة السرية

"قُمْ فَأَنْذِرْ" فبدأ النبي عليه الصلاة والسلام يتتقى أشخاصاً معينين يدعوهم إلى الإسلام، لم يبدأ بالكلام مع كل الناس مباشرة.. لا، الأمر كان يحتاج إلى ترتيبات، ويحتاج مراحل يمر بها الداعي إلى الله تبارك وتعالى.

فبدأ النبي عليه الصلاة والسلام يتكلم مع المقربين، أول يوم في أيام الدعوة بطبيعة الحال أسلمت خديجة، وأسلم مولاه زيد، وأسلم علي ابن أبي طالب، وأسلم الصديق رضي الله عنه وأرضاه. هؤلاء أسلموا في أول يوم من أيام الإسلام، ونحن الآن نتحدث في المرحلة السرية. أعود مرة أخرى وأقول نحن قلنا أن عندنا مرحلة الدعوة في السيرة ثلاثة وعشرون سنة، ثلاث عشرة منها في مكة ثلاث سرية وعشر جهرية؛ نحن الآن بدأنا الثلاث سنوات المرحلة السرية من مراحل الدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

فبدأ النبي عليه الصلاة والسلام ينتقي كما ذكرت اشخاصا معينة يدعوهم إلى عبادة الله تبارك وتعالى.

وهذه الدعوة دعوة فردية؛ بمعنى هو يتوسم الخير في شخص فيذهب عليه الصلاة والسلام يحدثه سرا أنه رسول وأنه يدعو إلى التوحيد، وأن عبادة الأصنام هذا كلام باطل، إن آمن أو لم يؤمن هذا أمره إلى الله تبارك وتعالى.

نحن قلنا أن خديجة رضي الله عنها، مولاه زيد، علي ابن أبي طالب، الصديق رضي الله تعالى عنهم أجمعين أسلموا في أول يوم إسلام. الصديق بدأ يمارس الدعوة الفردية هو أيضا فيالسر، يتوسم في أناس الخير فيدعوهم، بدأ الصديق يعمل في الدعوة، فعاد للنبي عليه الصلاة والسلام، وقد آمن على يديه خمسة من العشرة المبشرين بالجنة، وهذه كانت طفرة بالنسبة لبداية الدعوة في المرحلة السرية، ثم استمرت هذه المرحلة ثلاث سنوات.

مرحلة الدعوة الجهرية

ثم نزل عليه قول الله تبارك وتعالى: **"وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ"** الشعراء: 214 ، حدث هنا التحول **"وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ"** هذا لن يحدث في السر؛ فحدث تحول من المرحلة السرية إلى مرحلة جهرية من مراحل الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، وبذلك نبدأ مرحلة جديدة من مراحل الدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

وقد صعد النبي عليه الصلاة والسلام على جبل الصفا وأخذ ينادي في قريش وفي بطون قريش ويدعوهم إلى توحيد الله تبارك وتعالى، وأول من هاجم النبي عليه الصلاة والسلام هو عمه أبو لهب كما نعلم جميعاً.

مهاجمة قريش للدعوة

لكن مع بداية المرحلة الجهرية بدأت قريش تفكر كيف تهاجم الدعوة، كيف يصدوا عن سبيل الحق، كيف يصدوا عن سبيل الله تبارك وتعالى، ما أمر هذا الدين الجديد! الأصنام التي منذ مئات السنين نعتقد أنها آلهة وأنها تنفع وتضر، فجأة يظهر أحد يقول أن كل هذا الكلام كأنه غير موجود وكلام باطل وخطأ! فبدأت قريش تصعد الهجمات أمام الدعوة الجديدة. لكن قريش استخدمت أساليب كثيرة جداً، يعني لن يذهبوا مباشرة للنبي ويقتلوه.. لا، لأنه منهم عليه الصلاة والسلام.

فأول شيء بدأت به قريش - هذا الكلام سينفعنا بعد ذلك - نتكلم عن الدروس المستفادة من المرحلة المكية، لذلك انتبه معي جداً في تلك الأساليب لأنها ستفنعنا في حياتنا عموماً، وليس

فقط في دراسة السيرة، بل ستنفعنا أيضًا في حياتنا الدعوية. كيف نعيش مسلمين؟ كيف ندعوا إلى الله تعالى؟ كيف نتعامل مع من أراد أن يصد عن سبيل الله تبارك وتعالى؟

1. الطعن في شخص رسول الله عليه الصلاة والسلام

بمعنى لكي أهدم دعوة لا بد أن أطعن في شيخها الكبير، إذا استطعت أن أسقط شيخها الكبير.. فبذلك تكون هذه الدعوة انتهت. هذا الكلام ليس جديدًا، هذا الكلام فعلته قريش منذ ألف وأربعمائة سنة وأكثر، فبدأوا أولاً يطعنوا في شخصية النبي عليه الصلاة والسلام؛ سخرية وتحقير، واتهام بالكذب، واتهام بالجنون، وهذا ساحر وغير ذلك.. لكن هذا الأسلوب لم يأت بنتيجة مع الناس، لماذا؟ لأن هذا النبي الذي طعنوا فيه نشأ بينهم، هم من قالوا أنه صادق وهم من قالوا أنه أمين، وتربى معهم عليه الصلاة والسلام، ورأوا المعروف ورأوا الإحسان منه عليه الصلاة والسلام، أربعين سنة تقول أنه صادق وفجأة يصبح كذاب! فلم يؤثر هذا الأسلوب.

2. الطعن في القرآن

فبدأوا في التفكير في أسلوب آخر قالوا لن نطعن في محمد، بل سنطعن في الكلام الذي يقوله محمد، مادام أن الطعن في الشخصية لا يؤثر، فبدلاً من أن أقول هذا الشيخ سيء، أقول الكلام الذي يقوله الشيخ هو السيء، وأنه كلام مليء بالأخطاء والأباطيل. فماذا فعلوا؟ طعنوا في القرآن الكريم؛ قالوا أن هذا القرآن ليس قرآن ولا كلام الله ولا أي شيء، هذا أساطير الأولين، هذا كلام مسطر في الكتب المتقدمة، ومحمد يأتي به ويقول للناس، لكن هذا ليس بقرآن وليس

بكلام الله تبارك وتعالى.

3. إغراءات ومساومات

ثم بدأوا أيضا يفكرون في أشياء أخرى، يريدوا أساليب متنوعة، يريدون أن ينجحوا في الصد عن سبيل الله تبارك وتعالى؛ بدأوا بعمل إغراءات ومساومات، ما هي الإغراءات والمساومات؟ بدأوا يقولوا نذهب لمحمد ليخبرنا ما يريد ونفعله فنسكته، فقالوا: "يا محمد لو تريد الملك ملكناك علينا"، تريد أن تصبح ملك وتفعل كل ذلك من أجل أن تصبح ملك؟ سنملكك علينا ونقول أنك ملك وأنت هنا، ستصبح أنت الملك الكبير الموجود في مكة، "لو تريد الشرف سودناك علينا فلا نقطع أمرا دونك"، لو أردت أن تكون السيد سنجعلك سيداً، "لو أردت الغنى جمعنا لك مالاً"، أخبرنا ما تريد ونفعله.

بالطبع هذا الكلام لا يجدي نفعاً مع النبي عليه الصلاة والسلام، فهو صاحب عقيدة وصاحب فكر معين.

ثم قالوا له: نعبد إلهك سنة وتعبد آلهتنا سنة، فنكون بذلك التقينا في نقطة تجمعنا، يصبح هناك نقاط مشتركة بيننا، أنت إلهك حق ونحن سنعبده سنة، بشرط أن تعبدا آلهتنا أيضاً سنة، فنزل قول الله تبارك وتعالى

"قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا

عَبَدْتُمْ" الكافرون 1:4، وهكذا نزل القرآن يوضح أنه يستحيل أن يلتقي الحق مع الباطل.

4. اضطهاد وتعذيب

ثم كان الأسلوب الرابع: اضطهاد وتعذيب وتنكيل بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المستضعفين.

كلنا نعلم ما حدث مع بلال وسمية وياسر وهذا الكلام كله معروف بالطبع؛ ويعذب الصحابة على رمضاء مكة المكرمة.

الهجرة

هنا أمر النبي عليه الصلاة والسلام الصحابة رضي الله عنهم بالهجرة إلى بلاد الحبشة، سنة خمسة في شهر رجب هاجر أول فوج من مكة إلى بلاد الحبشة، كان إثني عشر رجل وأربعة من النساء، منهم عثمان ورقية رضي الله تعالى عنهما.

النبي عليه الصلاة والسلام أخبر الصحابة أن يذهبوا إلى الحبشة عند النجاشي، فهو رجل عادل لا يُظلم عنده أحد، وهذه كانت انفراجه لبعض الصحابة المستضعفين أن يفرون بدينهم إلى الله تبارك وتعالى.

ثم كانت الهجرة الثانية بعد ذلك، الهجرة الثانية كانت سنة سبعة من البعثة. إذا الهجرة الأولى في رجب سنة خمسة من البعثة، لكن نفرق لأن هذه خمسة من البعثة وليس خمسة من الهجرة، الهجرة أمر آخر، لم نذهب بعد إلى المدينة، نحن سنة خمسة من البعثة، الفوج الأول ذهب إلى الحبشة، سنة سبعة من البعثة الفوج الثاني أيضًا هاجر إلى الحبشة، لكنه كان ثلاث وثمانون رجل وثمانية عشر امرأة، فالعدد زاد.

5. حصار اقتصادي

ثم بعد ذلك فرضت قريش حصار اقتصادي شديد جدًا على بني هاشم وعلى بني المطلب، وهذه أيضا وسيلة من وسائل الضغط؛ الحصار الاقتصادي لا يناكحهم، ولا يؤاكلوهم، ولا يبايعوهم؛ حصار اقتصادي مجتمعي شديد على بني هاشم وعلى بني المطلب، وكان ذلك في شعب أبي طالب.

عام الحزن

وفي العام العاشر تعرض النبي عليه الصلاة والسلام لضربة قاسية؛ مات عمه الذي كان يحميه ثم ماتت خديجة رضي الله عنها وأرضاها بعد عمه بشهرين أو ثلاث، وهذا الأمر كان صعب جدًا على النبي عليه الصلاة والسلام، وهنا يلعب هذا العام بعام الحزن، هذا الكلام كان سنة عشرة في شهر رجب، مات عمه ثم ماتت خديجة، ثم ذهب النبي عليه الصلاة والسلام إلى الطائف في شهر شوال سنة عشرة من البعثة يبحث عن أرض جديدة يدعو فيها إلى الله تبارك وتعالى.

البشارات

لكن بدأت البشارات تظهر، سيأتي الفرج بإذن الله تبارك وتعالى؛ سنة إحدى عشر أسلم ستة من أهل يثرب، ثم بعد ذلك تمت بيعة العقبة الأولى في موسم الحج سنة إحدى عشر، كان عدد المبايعين إحدى عشر بايعوا النبي عليه الصلاة والسلام بيعة العقبة الأولى، ثم بعد ذلك بعدها مباشرة سنة ثلاث عشر بيعة العقبة الثانية.

بيعة العقبة الأولى ذهب مصعب بن عمير مع الإثنى عشر، بيعة العقبة الثانية سنة ثلاثة عشر بايع النبي عليه الصلاة والسلام بضع وسبعون من الأنصار، هذه البيعة مهدت للهجرة إلى المدينة.

لماذا نقول أن بيعة العقبة الثانية لها علاقة بالهجرة؟ لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال أثناء البيعة - كان هناك شرط أو بند - قال النبي عليه الصلاة والسلام: **"تُبَايَعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي النِّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ، لَا تَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي، فَتَمْنَعُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ، مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَأَزْوَاجِكُمْ وَأَبْنَاءِكُمْ وَلَكُمْ الْجَنَّةُ"** الألباني: إسناده صحيح على شرط مسلم، يعني ذلك أني لو ذهبت لكم تحموني، **"تَمْنَعُونِي"** تحموني، فوافق الأنصار على حماية رسول الله، لذلك كانت بيعة العقبة الثانية هي التمهيد للهجرة المباركة.

ثم كان بعد ذلك حدث الهجرة المبارك، الهجرة التي كانت من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، جاء وقت العطاء، وجاء وقت الفداء، وجاء وقت التضحية، وانتقل النبي عليه الصلاة والسلام من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ليؤسس دولة الإسلام الأولى. بذلك انتهينا باختصار شديد من الكلام عن المرحلة المكية، لكن يبقى الأهم ما هي الدروس المستفادة من المرحلة المكية. هذا بإذن الله تبارك وتعالى سيكون في المحاضرة القادمة. دمت في أمان الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.